اسم المادة: الكريم - البصير - الغفور - الشكور□

من سلسلة: الحسنى□

لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري□

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: الكريم - البصير - الغفور - الشكور
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري

الكريم

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

أيها الإخوة الكرام مازلنا في رحاب أسماء الله الحسنى، نُقَلِّب النظر ونُنْعِم القلوب ونؤنس الأرواح بعظمة ربنا التي تتجلى في عظمة أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

كم هي نعمة كبيرة أكرمنا الله –تعالى– بها أهل الإيمان؛ لما عرَّفَنا بذاته العلية في كتابه الكريم. أجل، وتلك نعمة من أجَّل نعم الله علينا أن عرفنا –سبحانه وتعالى– نفسه بنفسه، وجلَّى لنا –سبحانه وتعالى– كثيرًا من معاني عظمته ووجوه جلاله في كتابه الكريم، وفي سنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ألا وإنَّ من الأسماء العظيمة الإلهية المحببة إلى نفوس المؤمنين؛ اسم الكريم –سبحانه وتعالى–، لأننا نتقلب في أكناف كرمه، ونعيش في ثنايا نعمه. ماذا نحن وماذا حياتنا وماذا هذا الكون كله من حولنا لولا كرم الله؟!

وجودنا في هذا الكون أثر من آثار كرمه، وما يحدونا به من النعم، وما يغزونا به من الفضائل والخيرات إنما هي أثر من آثار نعمته. ما نتحلى به من صفات الجمال والجلال، وما نأنس به في كل مناحي الحياة إنما هو طرف من آثار كرمه ونعمته –سبحانه وتعالى–، "يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ" الانفطار:٦ حتى في سياق استعطاف القلوب وتذكيرها بربها، وإيقاظها من غفلتها لتعود إلى رشدها، وتأوي من جديد إلى ربها، يأتي اسم الكريم.

إنه اسمٌ كم يحرك المشاعر! وكم يقلب الأرواح قربًا من ربها! "مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ" الانفطار٦:٧ هو ذات الاسم الذي يشعرنا فيه رب العزة والجلال بغناه عن خلقه مع عظيم كرمه "وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ" النمل:٤٠.

مع غناه وكرمه –جل في علاه–، لكنه لا يقبل الكفر ولا يرضاه، تعالى الله جل جلاله وتقدست أسماؤه.

كرم الله –سبحانه– ينزل علينا بفضل ونعم، ومن عظيم كرمه أن الله يجيب دعاء من دعاه في الحديث الصحيح "إنَّ اللَّهَ حيِيٌّ كريمٌ يستحي إذا رفعَ الرَّجلُ إليْهِ يديْهِ أن يردَّهما صفرًا خائبتينِ"[1] ما أعظم كرمك يا رب، وما أجل عطاءك.

كرم ربنا كسائر أوصافه العظمى، ليس يماثلها شيء، ولا يدانيها شيء، نعم، كرم ربنا –عز وجل– يعظم فوق كل كرم، وإنعامه يسمو فوق كل إنعام، وعطاؤه لا يرقى إليه كل عطاءات المخلوقين ولو اجتمعت، لأنه كرم الكريم –سبحانه وتعالى–.

يُعْطِي ولا يسأل سائلًا –سبحانه–، ويعطي بلا عِوَضْ لأنه كريم، يُعطي بلا سبب لأنه كريم، يعطي المحتاج وغير المحتاج لأنه –سبحانه وتعالى– كريم، يعطي –عز وجل– مع تمام غناه وفقر خَلْقِه فإنه كريم –جل في علاه–.

ربنا كريم ولإن تلمسنا نواحي الكرم فيما حولنا من النعم في ثوبٍ وبيتٍ وزوجةٍ وولد ورزقٍ ومعاشٍ ومال وسائر ما حولنا من وجوه النعم، فاعلموا أن من أعظم وجوه الكرم التي نتقلب بها في عظيم عطاء ربنا الكريم؛ كرمٌ يناله أهل الإيمان والعلم بمعرفته. عندما نُرزق معنى تقدير ربنا حق قدره فهذا من كرمه –سبحانه– أن أيقظ قلوبًا ودلها عليه، أن جعل نفوسًا تحيا بمعرفته وتأنس بذكره، فهذا من عظيم كرمه –جل وعلا–.

ومن وجوه كرمه التي لا يمكن أن يحدها عقل، ولا أن يتصورها فكر، ولا أن تخطر على قلب بشر؛ كرامته لأهل جنته –نسأل الله أن نكون جميعًا من ساكنيها– كرم ربنا هناك عجيبٌ، عظيمٌ، مدهشٌ، تطير له العقول، لأنه كرم أكرم الأكرمين وأعظم الحاكمين –سبحانه وتعالى–.

ومن عجيب معاني الكرم العظيمة الجليلة المنسوبة إلى ربنا العظيم الكريم –سبحانه–؛ أنه يعطي ويمتن ويثيب –سبحانه–، ثم يجعل هذا مما ينسبه إلى أهل الإيمان. تأمل معي قول المولى –سبحانه–: "وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ" الحجرات:٧ فالفعل فعل الله، والكرم كرمه –جل في علاه–، حبب إلينا الإيمان وزينه، وبغض إلينا الكفر والفسوق والمعصية، ثم قال: "أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" الحجرات٧:٨. عجيب هو كرم الله؛ يسوق إلينا الخير، ويفتح لنا أبواب الهدى، ثم يَنْسُب هذا الفعل لنا، ما أعظم كرمك يا رب، وما أعظم عطاءك يا رب، فأنت الكريم، جواد عطاؤه –سبحانه وتعالى– يشمل الوجود ويغطي المخلوقات، فلا إله إلا الله الملك الكريم –سبحانه– رب العرش الكريم.

أيها الكرام سائر وجوه الكرم التي يُتمدح بها الخلق، والتي نثني بها عليهم في حياتنا ومعاشنا، فإنما هي أيضًا مما حُببت إلينا من كرم ربنا –سبحانه وتعالى– بخلقه، فلا عُرِف الكرم ولا مُدح أهله إلا بعظيم ما أثنى الله –تعالى– به على الكرماء، ووعدهم به من جزيل العطاء. أما إنَّ لنا ربًا كريمًا فأقبلوا عليه لإحياء معنيين عظيمين في النفوس:

أحدهما عظيم السؤال والافتقار إلى الله، وكثرة الطلب من ربٍ كريمٍ دون أن نضع سقفًا للأمنيات والمطالب، فربنا كريم.

والمعنى الآخر شعورنا بأن الله –عز وجل– لعظيم كرمه؛ يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، فعطاؤه كرم ومنعه كرم، وفي كل أحوالنا مازلنا نتقلب في كنف الكريم –سبحانه وتعالى–.

فارزقنا يا ربِ رزقًا يغنينا بحلالك عن حرامك، واجعله يا ربِ عونًا لنا على طاعتك. لا تحرمنا فضلك وكرمك في الدنيا ولا في الآخرة يا أكرم الأكرمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[1] صحيح الترمذي

البصير

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُ شَعَثَ القلب، وتفتح للعبد آفَاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحيةً طيبةً مباركة.

في رحاب أسماء الله الحسنى، نعيش معها معاني تزيدنا بربنا معرفةً وله إجلالا وتعظيمًا، ولذلك لا يزال العبد محتاجًا إلى معرفة ربه أتم معرفة، يزداد إيمان أحدنا كلما ازداد علمه بربه، ويكون أقرب إلى طاعته وامتثال أمره؛ كلما امتلأ القلب تعظيماً وإجلالا لربه.

حقيقةٌ ينبغي أن تستقر عليها القلوب أيها الكرام، وحتى نبلغ بعلمنا بالله في قلوبنا مبلغًا أعظم، لنجعل من علمنا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى سلمًا نرتقي به إلى هذا الرقي في سماء الإيمان، فنحلق في صفحات التقوى والقرب من ربنا لنحل غدًا في أعلى مراتب الجنان.

اسم الله تعالى البصير الذي جاء في كتاب الله عشرات المرات، ويقترن كثيرًا باسم السميع، "إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الإسراء:١، "وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" الحج:٦١، وقَلَ إن ينفرد هذا الاسم الكريم العظيم وحده في كتاب الله الكريم، في مثل قول ربنا –سبحانه–: "وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا" سورة الفرقان:٢٠

ربنا بصير، وهي صيغة مبالغة على وزن فعيل، بمعنى أن ربنا عظيم البصر.

فهذا الاسم الكريم الذي يقترن كثيرًا بمثل اسم السميع، واسم العليم، واسم الرقيب والشهيد الذي يدل في مجموع تلك الأسماء على سعة علم الله –عز وجل–، وعظيم اطلاعه على خلقه، أجل، هذه الأسماء ومنها اسم البصير مما يزرع في القلوب مراقبة ربنا الجليل –سبحانه وتعالى–، لعلمنا أن الله –عز وجل– يبصر بصرًا لا يفوت عنه شيء.

ومن عظيم بصر الله –سبحانه– أنه يبصر جميع خلقه، لا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عن بصره –سبحانه وتعالى– شيء.

ومن عظيم بصره أن الله يبصر كل شيءٍ وإن دق وإن جل.

فربنا –سبحانه وتعالى– يبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، تعالى الله جل في علاه.

من عظيم بصر ربنا –سبحانه– أنه يبصر ما فوق السماوات وما تحت الأراضين وما بينهما، وما في الأفلاك وفي سائر هذا الكون الفسيح فبصر ربنا –سبحانه وتعالى– يحيط به.

آيَة في كتاب الله هي موجهةٌ لكل مسلمٍ يقرؤها ويسمعها من القرآن الكريم، تعيد من جديدٍ نفض الأبدان لتزرع هذا المعنى الكريم، هو قول ربنا –سبحانه وتعالى–: "أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى" العلق:١٤، خاطب نفسك بهذا السؤال، وخاطبي نفسك بهذا السؤال، أعلم أحدنا حقيقةً بأن الله يراه، ويبصره، ويطلع عليه في كل أحواله، يبصر ربنا –عز وجل– أحدنا في جمعته بالناس، وشهوده المجامع، واختلاطه بهذه الدنيا الفسيحة، كما يبصر ربنا –عز وجل– حال أحدنا إذا انفرد واختلى، بل حتى إذا استتر في جنح الظلام وأرخى السُتُر وأغلق الأبواب، ربنا –عز وجل– بصيرٌ –سبحانه وتعالى–. بل إنه يبصر دواخل نفوسنا، ويعلم خطراتها، ويبصر مكنوناتها فالله –جل جلاله– يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

يا قوم؛ كم لهذا الاسم العظيم من أَثَرٍ عظيم في قلوبنا لربنا العظيم، إي والله، ما استشعر عبدٌ هذا المعنى العظيم هذا المعنى العظيم إلا امتلأ قلبه تعظيمًا لربه وأحسن مراقبته في السر والعلانية.

دعونا نقرب الصورة، كم تكون تلك الحساسية حاضرة وذاك الحس قائمًا عندما يشعر أحدنا بوضع عينٍ رقيبةٍ عليه؟ كم سيكون في تصرفه دقيقًا منتبهًا يقظًا حذرًا؟ أما إنه إن شعر أحدنا في مكانٍ ما في سوقٍ أو مكانٍ يجتمع فيه أو أي مكانٍ كان يشعر أنه تحت أنظار العدسات ومراقبة المصورين، كم سيكون أحرص ما يكون على ألا يبدو منه ما يسيئه أو يخل به أو يلحق به تهمةً أو جناية؟ وإن لم يكن في الحقيقة كذلك، لكنه حرصًا على ألا يظهر أمام من يبصره ويراقبه بما لا يرضاه لنفسه، ولله المثل الأعلى. إن بصر ربنا –عز وجل– يدركنا ويحيط بنا كل لحظةٍ وآن.

فنعم العبد والله، ونعم الأمة والله، أولئك الذين استشعروا بصر الله وعلمه، ومراقبته واطلاعه وشهوده –عز وجل– عليهم في كل اللحظات، فما اختلف لهم حالٌ عن حال، فإذا ما أزهم الشيطان في لحظة ضعفٍ وارتخاء إيمان من أجل إطلاق بصرٍ في حرام، تذكر بصر الله به، وعلي الفور تردد في داخله صدى قوله: "أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى"، إذا ما سولت له نفسه أن تمتد يده إلى ما لا يحل له في ساعة غفلةٍ وخلو مكانٍ وإقبال نفسٍ تذكر قول ربنا –سبحانه–: "أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى"، يأتي اسم البصير تحديدًا في سياقٍ يشعل في القلوب فتيل الإيمان ويذكرها بصدق التوبة والأوبة إلى الله في مثل قول ربنا –سبحانه–: "وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا" الإسراء:١٧، والله ما استشعر عبدٌ عند همه بالذنب أو حتى بعد مقارفة الذنب، ما هم بالذنب والمعصية مستشعرًا سَعة علم الله وعظيم بصره به إلا كان له الأثر في انحساره وأسر قلبه عما يهم به من استرسالٍ في الحرام.

ومن جميل قول الإمام الغزالي –رحمة الله عليه–: "من اقترب من معصيةٍ وقاربها وهو يعلم أن الله –تعالى– يبصره ويراه فما أجرأه على الله وما أخزاه، وإن ظن أن الله لا يعلم فما أكفره وما أجهله" وصدق –رحمه الله–.

استشعار معنى بصر الله يوقظ في القلوب مراقبة الله –جل جلاله–، وها هنا كان جواب ابنة بائع اللبن في زمن أمير المؤمنين عمر –رضي الله عنه– لما نهى أن يشاب اللبن بالماء، فقامت بائعة اللبن تأمر ابنتها، وجعلت تحت سياق كلامها أن أمير المؤمنين لا يرانا، فكان جواب ابنتها المسدد، ما كنت لأطيعه في الملأ، وأعصيه في الخفاء، إن أمير المؤمنين لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا.

هو ذات الشعور الذي حضر في قلب الأعرابية التي راودها الأعرابي في صَحْرَاء فَلَاةٍ فقال: لا يرانا ها هنا إلا الكواكب، قالت له: فأين مكوكبها؟

يا قوم ما أجمله من شعورٍ نعيشه في رحاب علمنا بجلال ربنا، وسعة اطلاعه، وعظيم سمعه وبصره يملأ القلوب استشعارًا بعظمة ربنا واقترابًا منه ومراقبةً له، تلك حياة السعداء، وهذه هي طرق الأتقياء، ما غاب عنهم هذا المعنى، فكانوا أكثر حرصًا واقترابًا، أكثر تَقْوَى وصلاحا، أما أن أحدنا ليس بمعصوم، لكن طالما ظل الشيطان حريصًا على أن يؤزنا إلى مواقع الغفلة والعصيان والشهوة؛ فلنجعل من هذا سلاحًا نتقي به، وزادًا نتقوى به؛ علمنا وإيماننا ومعرفتنا بعظيم بصر ربنا الكريم البصير –سبحانه وتعالى–.

اللهم فاملأ قلوبنا من خشيتك وتعظيمك وإجلالك، واجعلنا من أعلم العباد بما لك من جلال العظمة علمًا وسمعًا وبصرًا، واكفنا يا ربي بالحلال عن الحرام وبالطاعة عن المعصية، وبفضلك عمن سواك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الغفور

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مازالت أوقاتنا عامرة بطاعة الله، ولازالت قلوبنا مغمورة بفضل الله ورحمته ومغفرته.

أيها الأحبة الكرام؛ اسم ربنا –جل جلاله–؛ الغفور، أحد تلك الأسماء التي تأثرنا معشر العباد، ليس لأننا مفطورين مخلوقين على الخطأ والذنب والمعصية والقصور، وليس هذا فقط لأننا لا يخلو حالنا من تقصير في جنب الله فقط، بل لأن هذا الاسم مازال يقطر من معاني الرحمة والفضل والعفو الإلهي ما يجعل القلوب ترق لباريها، وتقترب من خالقها، وهي تبحث عن وجوه الرحمة الفائضة والمغفرة الواسعة.

يقترن كثيرًا اسم الغفور في كتاب الله باسم الرحيم، وهنا يتبين جليًا أن هذين الاسمين فيهما من وصف المغفرة والرحمة التي أرادها الله –عز وجل– بنا معشر العباد، والله ما خلق الله خلقًا ليعذبهم، ومع خلقه جهنم وفيها نار تلظى يعاقب بها العصاة والكفرة ومن تعدى حدوده، فإنما هي عقاب من لا يصلح لهم إلا ذاك، لكن هذا الاسم الذى تجاوز التسعين مرة في كتاب الله مازالت الآيات تأتيك في كل سورة تحمل هذا الاسم الكريم التي توقظ في قلوبنا أيها العباد الرجوع إلى الله والاقتراب من مغفرته والبحث عنها بأدنى طريقٍ، أي والله بأيسر طريق ننال مغفرة الله ولو بتحريك ألسنتنا بـ "استغفر الله"، "نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" الحجر:٤٩. ما ألطفها والله! ما أحلاها على القلوب وهي تنزل فتحيط بها وتحتضنها وتحويها! وقد جاءت مرادفة لها "وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ" الحجر:٥٠.

يستقر في القلوب هذا التوازن العظيم أمام ربٍ كبير عظيم –جل في علاه–، نحبه أشد الحب، ونخاف منه أعظم الخوف لأنه الله، وربنا الغفور –جل جلاله– قد قال لنا في كتابه: "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ" طه:٨٢. هو غفار –سبحانه– وجاءت هذه الصيغة وفيها المبالغة بكثرة المغفرة، وليس هذا باستنباط يحتاج إلى أكثر من صريح الآية الأخرى: "إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ" النجم:٣٢. رحماك ربنا أي سعة هي لمغفرتك؟ تنبهوا فليس والله المقصر والمذنب والفاجر والشقي هو الأحوج إلى مغفرة الله، بل كلنا في هذا الباب سواء، لولا مغفرة الله لهلكنا، ولولا عفو الله لافتضحنا. نحن في كنف مغفرته ورحمته مازلنا ندرج في طريق العبودية والتقرب إليه –سبحانه وتعالى–.

سعة مغفرة الله تُطْمِع العبد في الاقتراب من الله مهما أذنب وأخطأ وأسره الشيطان بشهوة أو شبهة، لأنه يعرف أن ربه غفور –سبحانه وتعالي–، واسمعوا هذا النداء المعدود في القرآن في أرجى آية في كتاب الله، كما قال ابن مسعود –رضى الله عنه– "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" الزمر:٥٣، هي تمامًا في سياق قوله –تعالى–: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ" النساء:٤٨. أخي، أخيتي، أي ذنب أنت صاحبه، أي خطيئةٍ تظن أنك اقترفتها، أي معصية مازالت تحرق قلبك وتوقظ مضجعك، أفق واقترب فإن لك ربًا غفورًا يقول –جل جلاله– في الحديث القدسي مخاطبًا

إياي وإياك وجميع العباد: "يا ابنَ آدمَ، إنك ما دعَوتَني ورجَوتَني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغَتْ ذنوبُك عَنانَ السماءِ، ثم استغْفَرْتَني، غفرتُ لك، يا ابنَ آدمَ إنك لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لَقِيتَني لا تشركُ بي شيئًا، لأتيتُك بقُرابِها مغفرةً"[٢].

ما أعظمك ربنا! وما أوسع مغفرتك! ما أرحمك! ما أحلمك! ما أجَلَّ عطاءك وأعظم مغفرتك ورحمتك يا كريم!

أيها الكرام أمة الإسلام؛ أحدنا لن يعيش معصومًا في دنياه، وأعظمنا صلاحًا وأكثرنا تقوىً، من قلت ذنوبه وخطاياه، لكننا نبقى في الجملة في تقصيرٍ وذنب وعصيان، والطريق إلى ذلك في سلوك درب الاستغفار. وقد قال لقمان الحكيم في وصيةٍ لابنه: يا بنى عود لسانك "اللهم اغفر لي" فإنك لا تدري متى تُصِيب المغفرة. وقد قالها أيضا حكيم من حكماء الأمة الحسن البصري –رحمه الله– لما قال: "أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإن لله ساعات تتنزل فيها المغفرة، لله ساعات لا يرد سائلًا".

فمن عود لسانه الاستغفار أصاب خيرًا، قالتها أمنا عائشة –رضى الله عنها– "طُوبى لِمَن وجَدَ في صحيفتِهِ استغفارًا كثيرًا"[٣].

فقولوا "استغفر الله" واجعلوها ديدن ألسنتكم، هكذا كان نبيكم –صلى الله عليه وسلم– يكثر في المجلس الواحد من الاستغفار حتى يحصوا له في المجلس سبعين استغفارًا أو مائة مرة يستغفر فيها الله. هي التقرب من الله، التملق إلى رحمته واستنزال عفوه ومغفرته، عندما تحل المغفرة بساحة أحدنا؛ يعيش الحياة الحقيقية الطيبة، ويأنس غدًا بعفوٍ عظيم ورجاء كبير.

"من لزِم الاستغفارَ جعل اللهُ له من كلِّ همٍّ فرَجًا ومن كلِّ ضيقٍ مخرَجًا ورزقه من حيث لا يحتسِبُ"[٤] سبحانك ربنا أنت أهل التقوى وأهل المغفرة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

---

[٢] أخرجه الترمذي وأحمد

[٣] صححه الألباني

[٤] أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه

الشكور

إن معرفة أسماءِ الله –تعالى– وصفاته تَلمُ شَعَثَ القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة، والعبادة، وترفع حُجب الغفلة والشك والإعراض. فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أيها الأحبة الكرام أينما كنتم؛ طبتم وطابت أوقاتكم. ونحن في رحاب أسماء الله الحسنى وصفاته العلى نتفيأ في ظلالها ونتقلب في أكنافها، نزداد نعيمًا وأنسًا بمعرفة ربنا، ونتقوى إيمانًا ويقينًا بإدراك عظمة ربنا وإجلاله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.
أيها الأحبة الكرام اسمٌ من أسماء الله –جلّ جلاله– يجعلنا أكثر حرصًا على طاعته، واستباقًا إلى مرضاته؛ لعلمنا بعظيم هذا الوصف الذي تجلى في هذا الاسم الكريم؛ اسمُ الله الشكور.

الشكور: وهي صيغة مبالغة من الشكر. وها هنا قبل الخوض في دلالة هذا الكريم، ها هنا تأملٌ يستحق الانتباه؛ يوصف العبد بالشكر لربه وهذا معلوم، وقد قال الله –عز وجل– عن الإنسان: "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" الإنسان:٣، فالعبد القائم بشكر ربه يُسمى شاكرًا، فإذا كان مبالغًا في شكر ربه مجتهدًا في القيام بهذا الشكر الواجب لله –تعالى–، وُصِف العبد بأنه شكور، ومنه أيضًا في قوله –سبحانه وتعالى–: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" لقمان:٣١. أن يشكر العبد ربه فهذا واجب، ومعناه معلومٌ مُدْرَكٌ لأنه يقوم بحقٍ من حقوق الله –تعالى– عليه، وهو الاعتراف بالنعمة، والثناء بها على الله، والقيام بحقها شكرًا، واعترافًا، وتعبدًا، وتسخيرًا بتلك النعمة في طاعة الله. "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" إبراهيم:٧. كل هذا مفهوم، لكن كيف يمكن لنا أن نفهم وصف الله –عز وجل– بالشكر؟ وكيف ندرك معنى اسم الله –تعالى– الشكور؟ أوَ يشكرُ الرب عبده؟! أو يكون الخالق –سبحانه وتعالى– شكورًا؟!
نعم، هذا هو اسمه –سبحانه وتعالى–: "وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ" الشورى:٢٣ المتأمل في المواضع الأربعة التي جاء فيها اسم الله –تعالى– الشكور، يجد أنها اقترنت في مقاماتٍ وأحوالٍ يُخبر فيها رب العزة والجلال بجزاء المحسنين، وأهل الإيمان من طاعته والطائعين؛ فإنه يُثيبهم ويجزيهم على حسناتهم، ثم يمدح نفسه بنفسه، ويصف نفسه ويسمي نفسه بالشكور –تبارك الله– "لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ" فاطر:٣٠ وأهل الجنة إذا دخلوها قالوا: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ" فاطر:٣٤.
إذًا؛ يمكن أن نفهم في مثل هذه السياقات معني الشكور في حق ربنا الخالق العظيم –جل في علاه– أنه –سبحانه وتعالى– يجزي العبد على طاعته وإن صَغُرت، ويُثيب على الحسنة وإن قلت فإن الله لا يضيع ثواب عمل، ولا يخيب رجاء راجٍ، ولا تذهب على عبدٍ عند ربه طاعته، ولا يفقد أيضا حسنته لأن ربنا –سبحانه وتعالى– شكور، "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" الزلزلة:٧. ربنا –عز وجل– شكور يجزي العامل على عمله وكلما خَلُصت النية، وصَدَقَ القلب في قصده لربه، وجد ثواب العمل القليل عند ربه عظيمًا، وهذا وجه ثانٍ بديع من وجوه معنى الشكور في اسم الله –تعالى–، وهو أن الله يضاعف على الحسنة الثواب، ويجزي صاحبها فوق جهده وعمله وطاعته في عبادته لربه. تكون الحسنة واحدة فيثيب الله –تعالى– عليها أضعافا "مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" الأنعام:١٦٠، لأن الله شكور –سبحانه وتعالى–. ولأنه شكور فيضاعف الحسنةَ إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة.

كم هو مدهش، ممتع، مؤنس كلام ربنا في الحديث القدسي الذي أخرجه الشيخان في حديث ابن عباس –رضى الله عنهما– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "قال الله –عز وجل– إن الله كتب الحسنات والسيئات فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة". أرايتم؟! الهم بها دون العمل يثيب الله عليه حسنة لأنه شكور، ثم يقول: وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ما أكرم الله وهو الشكور –سبحانه–. ليس هذا فحسب بل يقول في سياق هذا الحديث: "وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة" سبحانك يا رب ما أكرمك وأنت ربنا الشكور. قال: فإن هم بها وعملها كتبها الله سيئة واحدة املؤوا قلوبكم حبًا وإجلالًا وتعظيمًا وتقربًا واستباقًا إلى ربكم الشكور –سبحانه وتعالى–.

ثمة وجه ثالث يا كرام في معنى اسم الشكور لربنا –سبحانه وتعالى– وهو أنه يثيب العبد على طاعته ويشكره على حسنته مع تمام غناه –جل في علاه– عن عبادة العابدين وطاعة الطائعين وسائر خلقه أجمعين، تعالى الله وعز وجل ربنا وتبارك أن يُعطي أحدًا على طاعته ثوابا ويثيبه عليه؛ فهذا وجه عظيم مع غناه، يقول الله –سبحانه–: "مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا" فصلت:٤٦ يقول سبحانه: "إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۦ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا" الإسراء:٧. الله –عز وجل– غنيٌ عنا، فأن يثيبنا مع تمام غناه –عز وجل– فهذا وجه عظيم من شكره، –تعالى الله وتقدس سبحانه وتعالى–.

ووجه رابع في شكر ربنا الشكور –عز وجل– وهذا المعنى العظيم في هذا الاسم الكريم يأسر القلوب والله حبًا لربها، وتقديسًا وإجلالًا وتعظيمًا وإخباتًا آلا وهو أن الله –سبحانه وتعالى– يهيئ العبد للطاعة، ويسخر له الحسنة، ويكتب له أسبابها، ثم يثيبه عليها، وينسب له فعلها، وإنما الفضل فضل الله، والتهيئة والإعانة من الله، وتيسير الأسباب، وتقدير هذا للعبد من الله، والثواب والعطاء من الله، ثم ينسب للعبد فعله ذلك قربة إلى الله، ما أعظم ربنا في شكره وما أجلّه وما أعظمه.

بل ومن وجوه شكر الله –عز وجل– لطاعة الطائعين وعبادة العابدين أنه –عز وجل– يُثيب على الحسنة والطاعة الواحدة ألوانًا من العطاء والجزاء الحسن في الدنيا؛ انشراح صدرٍ، وسعة رزقٍ، واندفاع غمٍ، وكشف كربة، وقضاء دين، ويثيبه في الآخرة درجات وحسنات ونعيمًا مقيمًا، وربما كان من وراء ذلك أجورٌ متتابعات فضلًا من الله –سبحانه وتعالى–. فتوجهوا بعمل صالح، واقصدوا باب رب كريم شكور –سبحانه وتعالى–.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام نسألك أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وهب لنا يا ربِ ألسنةً ذاكرة شاكرة، وقلوبًا بذكرك وطاعتك عامرة، واجعلنا يا ربِ في عِدادِ عبادك الشاكرين سبحانك ما أعظمك وأكرمك وأرحمك!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.